الكاتب: د/ عادل نفاتي
عضو بمخبر" تاريخ اقتصاديات المتوسط ومجتمعاته" بكلية العلوم الانسانية والاجتماعية بتونس.
البريد الالكتروني: adel.nafeti@gmail.com

عنوان المقال: قراءة في رحلة إلياس يوحنا الموصلي إلى قارة أمريكا (1675 – 1683)

تاريخ الارسال: 2019/05/02 تاريخ القبول: 16 /2019/06 تاريخ النشر: 30/ 06/ 2019

قراءة في رحلة إلياس يوحنا الموصلي إلى قارة أمريكا (1675 – 1683)

Signification of the area in Elias Johanna El Mousaly ' journey to the American continent (1675 - 1683)

الملخص بالعربية:

لم ينطفئ شغف العرب واهتمامهم بالعوالم المغايرة القريبة أو البعيدة حتى في أحلك فترات تراجعهم الحضاري، وفي هذا الإطار يتّنزل نص رحلة إلياس يوحنا الموصلي كأول رحّالة عربي يزور المجال الأمريكي في نهاية القرن السابع عشر. حيث قام الرحالة بنقل أخبار رحلته وتفاصيلها واصفا المجال الأمريكي طبيعة وسكانا، مستخدما لأدوات الجغرافيا الوصفية العربية ومزجها بجملة التمثلات الأوروبية عن العوالم الخارجة عن دائرة الحضارة الغربية. فمثل نص رحلة " سياحة الخوري إلياس الموصلي" قراءة فريدة للمجال الأمريكي في سياق عرف فيه تعايش نمطين ثقافيّن مختلفين، نمط محلي وآخر وافد.

كلمات مفتاحية: الرحلة - أمريكا – الذهب – الدين – اللغة

Abstract :

The Arab's passion and interest about other universes, whether they were near or faraway, never faded out even in the hardest periods of their civilization recession. In this contest, we deal with the explorer Elias Johanna El Mousaly ' text. He was considered to be the first Arab explorer to visit the American area at the end of the seventeenth century. In his publication, El Mousaly wrote about the details of his journey, describing the American area including the geographic aspects using some Arabic geographic descriptive terminology mixing it with some European terms. Thus, the explorer's text was considered to be a unique reference to the American

area in the context of cohabitation between two different kinds of living: one is local and the other is expatriate.

Key Words:

The journey – America – gold – religion - language

المقدمة

يندرج نصنا ضمن دراسات أدب الرحلة عند العرب، وغايتنا منه تسليط الضوء على نص عدّ من أقدم نصوص الرحلة العربية إلى القارة الأمريكية[1]. حيث تلقى ذلك المجال زيارة دامت ثماني سنوات من سنة 1675 إلى سنة 1683[2]، وقام بها القس العربي إلياس يوحنا المنحدر من رهبانية النساطرة الكلدانية بمدينة الموصل العراقية، وتوجها بتأليف كتابه "صياحت[3] خوري إلياس الموصلي".

ومن نافلة القول التذكير بأن تجارب العرب مع السفر والترحال حسب عديد المختصين تعود إلى القرن الثالث هجري[4] عندما تنقل عدد من الرحّالة والجغرافيين العرب والمسلمين داخل مجالاتهم الثقافية أو خارجها لغايات مختلفة. فمنهم من ارتحل بغاية تطوير معارفه الجغرافية، ومنهم من آثر السفر بحثا عن متع روحية ووجدانية كرحلات الحجاج والمتصوفة، ومنهم من أوفدهم الحكام في اطار رحلات ديبلوماسية وعقد المعاهدات، ومنهم من ارتحل لأجل التجارة وعقد الصفقات المربحة. وقد التقت جميعها في غاية وكبرى تصبو إلى تحقيق معارف جديدة على درب الاستكشاف ومعاينة العوالم المغايرة[5].

وضمن هذا الانتاج الضخم من المدونات والنصوص العربية، يعد كتاب "صياحت الخوري إلياس يوحنا" بدوره نافذة عربية على العالم الأمريكي، كعالم كان مجهولا عندهم بحكم وجوده في مجالات جغرافية نائية. فقد وصف إلياس يوحنا ساكني المجال الأمريكي ب"غريبي الألسن واللغات قاطنين في البراري والجبال سالكين بعيشة [كذا] وحشيّة لا فرق بينهم وبين البهايم معذّبين ومنقادين بضلالة الشيطان ...وكانوا ساكنيين في الإقليم الرابع الذي كان مخفيّا عن الأبصار ومستورا عن الأفكار[6]."

وعلى أهمية المدونة وطرافتها التي تستمدها من قدم تاريخ إنجاز الرحلة والوجهة التي اختارها الرحالة وديانتة - إذ تعوّد الباحثون في الأعم التعامل مع نصوص رحلة إسلامية - فإن الأثر وصاحبه لم يكونا محل اهتمام إلا لدى نزر قليل من الدارسين. أمّا من جهتنا فقد عملنا في هذا المقال على البحث في الأسئلة التالية: بداية من هو إلياس يوحنا ؟ ماهي دواعي رحلته إلى أمريكا

؟ وماذا عن دواعي تأليف رحلته؟ كيف نقل صورة أمريكا: طبيعة وسكانا إلى قارئيه؟ ثم ما منزلة الياس يوحنا إذا ما رمنا مقارنته بشخصيات أخرى مشابهة من حيث الطموحات والغايات لدى زيارتها أمريكا ككريستوف كولمبوس والقس لاس كاساس؟ وفي الأخير كيف نصنف مؤلفه؟ وما هو وقعه على الأوساط العالمة المسيحية بالعراق ؟

بنينا دراستنا على ثلاثة محاور رئيسية: فأوردنا في العنصر الأول ما أمكن جمعه من معطيات تتعلق بتعريف الكاتب ونصه، وفي العنصر الثاني ركزنا على تحليل الصورة التي صاغها الياس يوحنا للمجال الأمريكي وساكنيه مع التركيز على قراءة جملة تمثلاته عن ذلك المجال وتصوراته، والخلفية الذهنية والثقافية التي شكلتها. وفي العنصر الثالث قارنا رحلة كريستوف كولمبوس المستكشف الأول للقارة الامريكية برحلة إلياس يوحنا الموصلي بوصفه الكاتب العربي الأول الذي تحدث عن العالم الأمريكي من جهة وبالقس والمبشر الكاتوليكي لاس كاساس الذي زار بدوره المستعمرات اللاتينية بأمريكا في بداية القرن السادس عشر وعمل على نشر مبادئ كنيسته من جهة ثانية. ولقد تركز تحليلنا على توظيف المعطيات والصور الواردة في نص الرحلة مع وصلها بالسياق الديني المحلي لمدينة الموصل التي نشأ فيها الكاتب وما شهدته من حيوية دينية بعد وفود رهبانيات مسيحية متنوعة منذ بداية القرن السابع عشر. دون اهمال للحيوية الدينية والحركات التبشيرية التي شهدتها القارة الامريكية بعيد وصول المستكشفين الأوروبيين الأوائل. واعتمدنا في دراستنا على طبعتين مختلفتين لنص الرحلة: طبعة أولى أوردها الأب رباط اليسوعي تحت عنوان "رحلة أول شرقي إلى أمركة" عن المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ببيروت والصادر سنة 1906، وطبعة ثانية حققها وقدمها نوري الجرّاح والموسومة ب"الذهب والعاصفة" صادرة عن دار السويدي للنشر أبوظبي سنة 2001.

I – الرحّالة ومسارات الرحلة ونصها

عملنا ضمن هذه الفقرة على تجميع المعطيّات المتوفرة والتي اهتمت برصد سيرة الكاتب، وكل ما له علاقة بمسار رحلته ومضامين مدونته.

1 – إلياس يوحنا ومسارات رحلته

رغم فرادة رحلته وأثره الأدبي يواجه المقتفي لأثر إلياس يوحنا صعوبات كبيرة في التعرّف على ملامح سيرته وبلوغ معطيات تتعلق بتاريخ مولده ووفاته ومساراته المعرفية ونشاطاته الدينية. فقد كانت المعلومات المتناولة في هذا الموضوع في مجملها ضنينة إلا ما رشح من أخبار مقتضبة

أوردها الأب أنطون رباط المحقق والناشر الأول لنص الرحلة، وما استجلبه الباحثون[7] من معطيّات كانت قد وردت في نص رحلته وبعض المصادر الأخرى.

ونستهل تعريفنا للرجل بما ذكره الأب أنطون الذي أورد أن : الخوري إلياس[8] هو ابن القسيس حنّا الموصلي الكلداني[9]، المنتمي إلى بيت عمونة [أو عمون حسب الجغرافي الروسي كراتشكوفسكي[10]] أو أبونا حسب ادمون لاسو، إذ كان لتلك العائلة روابط وثيقة بالأوساط المسيحية وانتساب عدد من أفرادها إلي نحلة النساطرة[11] التي ارتبطت عقب سنة 1553 بالفاتيكان وبمختلف الطوائف الدينية في منطقة الشرق الأوسط وبأوروبا الغربية. وبخصوص تاريخ مولد الياس يوحنا ووفاته، وفي غياب مؤشرات ملموسة أو تواريخ مضبوطة فقد قدّر أدمون لاسو بعد المقارنة مع مجايليه، أن الكاتب قد عاش بين سنة 1630 وسنة 1700[12].

استقرت أسرة الكاتب ببغداد، ولعب أخوته أداورا دينية واجتماعية بارزة في مدن الشرق وخصوصا بمدينتي الموصل وحلب[13]. وتتطابق هذه المعطيات في جانب منها مع ما أورده إلياس يوحنا في نص رحلته عن اهتمام ابن أخيه "يونان" بالعلوم الدينية التي أتم دراستها بروما قبل عودته إلى موطنه الموصل سنة 1670[14].

أما مدينة الموصل التي انحدر منها الكاتب ومكانتها الدينية والروحية عند مسيحيي منطقة الشرق الأوسط، فقد عدت إحدى المناطق المهمة بالنسبة إلى المبشرين بسبب كثرة أبناء الطائفة المسيحية فيها. فمثلت منذ مطلع القرن السابع عشر قبلة للرهبانيات القادمة من أوروبا ومن حلب وبيروت بغاية نشر تعاليم المسيحية الكاثوليكية[15].

ولقد ارتبط الموصلي مثلما تدل على ذلك عديد المؤشرات الواردة في متن الرحلة بعلاقات متينة بذوي النفوذ في عدد من عواصم أوروبا مثل روما وباريس[16]، وبالسلطات الزمنية الإسبانية ممثلة بوزراء البلاط والحكام المشرفين على إدارة المستعمرات[17]، والمراجع الدينية العليا ممثلة برؤساء ديوان التفتيش والمشرفين على الكنائس ودور العبادة المسيحية في المجال الأمريكي. ولقد مكنته تلك الصلات من الحصول على خطاب توصية من ملك إسبانيا موجه إلى كافة الحكام والبطاركة التابعين له العاملين في المستعمرات الأمريكية لتسهيل مهمته والاهتمام به بصورة استثنائية[18]. فكان مصرّحا للمبعوث العربي أن يمضي حيثما امتد مجال المستعمرات الإسبانية من دون أن يتعرض إلى المضايقات التي كان يتعرض لها غيره من المسافرين[19]، وذلك في زمن شدّدت فيه السلط الاستعمارية الإسبانية المراقبة على الباحثين والمهرّبين لمادتي الذهب والفضة وتوجيه أشد العقوبات للمخالفين وكانت أحيانا تصل حدّ الإعدام[20]. كما عثرنا في نص

الرحلة على شذرات تنبئ بطريقة تفكير الكاتب وسلوكاته المتعلقة بمعاملاته المالية مع رفاق رحلته أو مع من لقيّهم في المستعمرات الإسبانية وقيمة الربح أو الفائض الذي يحدده، وهو أمر يعد استثناء من قبل قس مسيحي ينتمي إلى ديانة متوجّسة من الربا والمرابين. وأحالتنا تلك الأخبار إلى طرح فرضية جمع المال كأحد مقاصد إلياس يوحنا الذاتية من رحلته، في سياق عام تميز بتنامي روح المغامرة والارتحال إلى أمريكا لأجل مراكمة الثروة.

في ما يخص مسارات رحلة الكاتب، فقد أورد الباحث نوري الجرّاح مرور إلياس يوحنا في رحلته من بغداد عام 1668 في رفقة طوبجي المدفعية [قائد المدفعية] التركية بالشرق الأدنى، القبرصي الأصل ميخائيل كون دوليو حاملين معهما خطابات من الآباء الكرمليين[21] ببغداد الذين كانوا يحظون بمكانة مرموقة في المدينة. وبعد أن أدى إلياس يوحنا طقوس حجه بالقدس - حيث تزود بمسابح وصلبان كان قد قدمها لاحقا في شكل هدايا لعدد من أتباع كنيسته في مدن وقرى أمريكا اللاتينية - زار في طريقه حلب[22] والإسكندرونة ثم أخذ طريق البحر إلى البندقية متوقفا لفترات قصيرة بقبرص وكريت وزانتي Zante. وابتداء من ايطاليا اتخذت الرحلة طابعا أكثر تفصيلا، فبادر في روما[23] بمقابلة البابا كليمنت التاسع (1667 - 1669) Climent IX، ثم ركب البحر من جنوه إلى مرسيليا، فأقام لبعض الوقت بفرنسا وإسبانيا، ورجع إلى إيطاليا للقيام ببعض المعاملات المالية، ثم عاد لإسبانيا من جديد ثم قصد البرتغال، وهناك اتخذ قرار السفر إلى القارة الأمريكية بعد أن تسلم وثيقة توصية من ملك إسبانيا كارلوس الثاني(1661 - 1700) Charles II.

وحسب المصدر المذكور فقد أقلعت السفينة التي أقلت الكاتب مرفوقة ب 15 سفينة[24] أخرى يوم 12 / 02 / 1675 من قادس إلى أمريكا مرورا بجزر الكناري(الجزر الخالدات) متجهة صوب فنزويلا. وبعد ابحار دام خمسة وخمسين يوما نزل الموصلي بالسواحل الشمالية لفنزويلا قرب مدينة كركاس ثم مر ببعض جزر الأنتيل الصغرى الغنية باللؤلؤ ثم بلغ مدينة قرطاجنة الكولمبية يوم 08 /04 /1675، ثم واصل الكاتب رحلته بحرا وبرا صوب السواحل الغربية لأمريكا الجنوبية، فتخللت رحلته وقفات طويلة في بعض المدن والبلدات. فمر الموصلي ببنما ومنها إلى الاكوادور حيث مكث مطولا في مدينة كيتو ثم أطال المقام أيضا بمدينة ليما بالبيرو لمدة سنة ونصف ثم بوليفيا ثم الشيلي ثم الأرجنتين ثم ليما من جديد في سنة 1680 حيث دوّن القسم الأكبر من مؤلفه، ثم بنما ثم المكسيك. فزار الكاتب مدنا عديدة فيها، ومن بينها العاصمة مكسيكو التي كانت آنذاك من أكبر مدن أمريكا اللاتينية عمرانا وسكانا، حيث أمضى

ستة شهور تاركا وصفا مفصلا في نص رحلته عنها. ثم عبر إلى نيكارغوا ثم سان سلفادور ثم غواتيمالا ثم المكسيك من جديد. كما أورد الكاتب بعض الحكايات مما سمعها من بعض التجار عن جزر الفلبين بجنوب شرق آسيا.

وأمّا الطريق التي نوى الكاتب اتباعها لأجل عودته إلى وطنه العراق، فقد فكر في بداية الأمر سلوك الطريق التي تمر عبر شرق آسيا مرورا بالصين والهند إلا أنه عدل عن تلك الفكرة وآثر اتباع نفس طريق قدومه، فسار في الطريق العادي من المكسيك مرورا بهافانا كبرى مدن جزيرة كوبا[25]. وبعد أيام من الإبحار وصل إلى قادس ثم انتقل إلى إشبيلية لأغراض مالية وتجارية ثم التحق بروما في عام 1683 وقدّم إلى البابا إنوسنت الحادي عشر(1678 - 1689) Innocent XI الهدايا التي جلبها من وراء البحار. ومن المؤكد أنه ظل هنالك إلى حدود 1692 حيث طبع في تلك السنة كتابا للصلاة باللغة العربية في عهد البابا إنوسنت الثاني عشر(1691 - 1700) Innocent XII.

لم يفصح إلياس يوحنا بصفة مباشرة عن دواعي رحلته الأوروبية ولا الأمريكية بعد أن أتم طقوس حجه بالقدس، وهو ما جعل الباحثين يطرحون فرضيات مختلفة: ومنها ما اقترحه نوري الجرّاح الذي ألمح إلى فرضية جمع التبرعات من أجل كنيسته كما فعل من قبله عدد من رجال الدين الذين زاروا روسيا. ولم يستبعد أيضا فرضية ذهابه في مهمة خاصة بدليل معاونة البابا والسلطات الإسبانية له واحتمال امتناعه عن عدم الإشارة إليها[26]. ومن جهتنا نفترض أن تلك المهمة كانت مزدوجة: فيها الديني الذي يتعلق بتفقد أحوال المسيحيين في المجال الأمريكي وهو أمر دأب رجال الكنيسة في القرن السابع عشر على تنفيذه في عدة مناطق خصوصا تلك التي انخرطت حديثا ضمن اتباع الكنيسة الكاتوليكية[27]، وفيها السياسي - الاقتصادي الذي تمثل في تفقد مناجم الذهب والفضة والزئبق بوصفها أهم مصادر خزينة الملك الاسباني من المعادن الثمينة.

2 – رحلة المؤلف:"صياحت الخوري إلياس الموصلي"

هو العنوان الأصلي للكتاب كما عُثر عليه في مكتبة مطرانية السريان بحلب دون أن نعلم شيئا عن ظروف وزمن احضاره إلى تلك المكتبة. وحسب أدمون لاسو قد يعود سبب وجوده هناك إلى قدم العلاقات بين الموصل وحلب ومتانتها إذ كانت المبادلات التجارية والتبشيرية بين المدينتين جدّ نشيطة[28]. وبالعودة إلى توصيف الكتاب فهو عبارة عن مجلد مخطوط تجليدا قديما طول الوجه 21 صم وعرضه 15 صم، وفي كل وجه 21 سطرا، تم نسخه سنة 1817 مثلما وقع

التنصيص على ذلك في الغلاف الخارجي للكتاب. احتوى المخطوط على 269 صفحة متضمنا لثلاثة مؤلفات تم تجميعها في كتاب واحد. حوى الكتاب الأول 100 صفحة وهو حجم نص الرحلة موضوع الدرس يتناول رحلة إلياس يوحنا منذ خروجه من مدينته الموصل وسفره إلى أوروبا واتجاهه نحو القارة الأمريكية حتى عودته إلى أوروبا. في حين تضمن القسم الثاني الذي امتد على 114 صفحة فصول "كتاب تاريخ اكتشاف أمريكا وأخبار ولاتها وشعوبها"، استمدها الكاتب من مؤلفات مؤرخي الحملات الإسبانية. وتضمن القسم الأخير من المؤلف نصا متكونا من 55 صفحة تحت عنوان "السفرتنامه" تضمن رحلة محمد سعيد باشا سفير الدولة العلية وابنه سعيد باشا إلى فرنسا سنة 1132 هـ/ 1719 م لمقابلة الملك الفرنسي لويس الخامس عشر (1715- 1774) دون ان يتم ذكر اسم محرر المدونة [29]. ونشير في ختام وصف المخطوط الى وجود ثماني نسخ خطية لمؤلف الياس يوحنا في مناطق مختلفة من العالم مع بعض الاختلافات حسب تأكيدات أدمون لاسو[30].

نشر النص في خمس مناسبات مختلفة، الأولى من قبل الأب أنطون رباط اليسوعي بعنوان "رحلة أول سائح شرقي إل أمريكا" متسلسلة في مجلة المشرق في الأعداد 18 – 24 بيروت 1905. ثم قام الأب أنطون بإعادة نشر نص الرحلة في شكل كتاب تحت عنوان "رحلة أول شرقي إلى أمركة"، بيروت، المطبعة الكاثوليكية للأباء اليسوعيين سنة 1906، والثالثة من قبل الباحثة العراقية ابتهاج عمر الراضي بعنوان "رحلة المواطن العراقي إلياس يوحنا الموصلي، أول سائح عربي يصل الأمريكتين" ضمن دورية المورد العدد 2، بغداد 1975، ص ص 167 – 194. والرابعة باللغة الأنقليزية من قبل سامي سعيد الأحمد، "رحلات الكاردينال العراقي إلياس يوحنا إلى الأمريكتين"، بغداد سنة 1982. والطبعة الخامسة للباحث نوري الجرّاح تحت عنوان "الذهب والعاصفة: رحلة إلياس الموصلي إلى أميركا، أول رحلة شرقية إلى العالم الجديد، 1668- 1683"، صدرت عن دار السويدي للنشر والتوزيع، 2001. وقام الباحث نوري الجرّاح خلال تحقيقه للمؤلف بتقسيم الرحلة إلى أربع مراحل وهي: الرحلة الأوروبية من بغداد إلى لشبونة، والرحلة الأمريكية من مدريد إلى كاركاس، والرحلة المكسيكية من تابوكا إلى مكسيكو، ورحلة العودة من مكسيكو إلى روما[31]. ولقد أضاف أدمون لاسو أن لكاتبنا أربعة مؤلفات أخرى متصلة بالتبشير ونشر المسيحية وطرق أداء طقوسها وعباداتها[32].

وأمّا أسلوب الرحّالة في كتابة رحلته فقد اعتمد أسلوب اليوميات إذ دوّن ما أراد تدوينه بحسب تعاقب زيارته للمواطن التي تكلم عنها. وهو أسلوب معهود لدى أدباء الرحلة العرب

حيث راوح فيه الكاتب بين السرد والوصف واللجوء في بعض الأحيان إلى الحوار[33]. وكان الجانب الوصفي أكثر الأساليب بروزا في فصول المدونة فتركز على وصف مشاهدات الكاتب خلال مسار رحلته البحرية والبرية: من غابات وجزر وحيوانات بحرية وبرية ومنتجات فلاحية وموارد منجمية، وأصناف البشر الذين صادفهم بأمريكا اللاتينية وسلوكاتهم، ووصف الأشغال داخل مناجم الفضة والذهب والزئبق. كما أورد الكاتب بعض الحكايات والنوادر والمغامرات لأجل إضفاء جانب من الطرافة والمصداقية على سرود رحلته وتجنيب قارئه شعور الملل.

وأمّا المادة الجغرافية الواردة في مؤلف الموصلي فقد اتسمت حسب كراتشكوفسكي بدرجة عالية من الصحة، إذ يسهل التثبت من التسميات الواردة فيه وتطابقها مع واقع الحال. ونوّه بأهمية المادة التاريخية المُقدمة عن أحوال عصر الكاتب ووصفه للحياة الاجتماعية وأسلوب المعيشة. فلم يقتصر على وصف حياة الطبقات العليا للسكان الإسبان وحدهم بل اهتم أيضا بجوانب من حياة السكان المحليين من الهنود الأمريكيين. وقد أضاف الكاتب أن للموصلي نظرة مغايرة لنظرة كتّاب العصر والوسط الذي عاش فيه[34]. وخلص نوري الجرّاح من جهته إلى فرادة نص إلياس يوحنا الذي درس أوضاع القارة الأمريكية في النصف الثاني من القرن السابع عشر من وجهة نظر عربية، فضلا عن قيمته كأثر أدبي لا يخلو من طرافة[35].

وعلى أهمية الكتاب في المكتبة الجغرافية العربية، إلا أن ذلك لا يعفينا من ذكر بعض النقائص التي بدت لنا فيه. ففي خصوص أسلوب الكتابة وبعكس ما ذهب إليه كراتشكوفسكي الذي نوّه بسلاسته وسهولته وخلوّه من التنميق، فقد وجدناه أسلوبا بسيطا استخدم فيه الموصلي مفردات وعبارات أقرب إلى الأسلوب العامي من الفصحى ما ينم عن عوز لغوي واصطلاحي لصاحبه إذا ماقارناه مثلا بنصوص الرحلة العربية إلى أوروبا في القرن التاسع عشر حيث وفق عدد كبير منهم في الجمع بين الجانب المعرفي والأدبي.

وعن الجمهور المستهدف في كتابه فهو على أغلب الظن الجمهور العربي بالمشرق، ونفهم ذلك من خلال التشابيه والمفردات والمصطلحات الذي اشتقت من مصادر لغوية مختلفة: كالتركية والفارسية والمصرية والتي تحاكي الخطابات اليومية في الشرق[36]، وعليه نفهم أن غاية الكاتب من الكتابة كانت إبلاغ فصول رحلته إلى دائرته الضيقة لا توجهها إلى جمهور عربي واسع.

ورغم تلك النقيصتين، وفي ظل ندرة المعطيات والمقاربات الأخرى التي تناولت دراسة أثر إلياس يوحنا، إلا أننا آثرنا دراسة نص الرحلة وكاتبها من زاوية أخرى تقوم على رصد تمثلات الكاتب للمجال المزُور عليها تساعدنا على فهم أدق للمؤلف المدروس، ومن تلك الإشكاليات التي يمكن

أن نبحثها: هل تمكن الموصلي من الإفلات من وطأة السرد الأسطوري وإيراد أخبار العجيب كما تضمنتها بعض السرود العربية الكلاسيكية؟ وماذا أضاف مؤلف إلياس يوحنا إلى الجغرافيا العربية أو الأوروبية بعد قرنين من اكتشاف أمريكا؟

- المجال الأمريكي : طبيعة غريبة وعدوانية II

في بحثنا في الصورة التي نقلها الموصلي عن المجال الامريكي وجدناها حافلة بزخم من الأوصاف والأحكام حول مكوّنات المجال وطبيعته وعناصره التضاريسية والمناخية المختلفة مع ذكره لخاصيات بعض النباتات والحيوانات التي بدت له غريبة عما ألفه في المجالات التي انطلق منها.

1 – طبيعة غريبة ومجال عجيب:

للبحث في صورة أمريكا كما تمثلها صاحب الرحلة يتحتم علينا في البداية الوقوف عند نماذج من نص المدونة لإدراك مكونات الصورة الطبيعية، وطبيعة العلاقة المبنية بين تلك المكونات وساكني المجال، سواء أكان من السكان الوافدين أم من المحليين. فقد مثل المجال الأمريكي كما أورده الكاتب موطن انتشار الأشكال التضاريسية على اختلاف أصنافها، حيث توجد الجبال العالية والأحراش والمنحدرات والأنهار الكبرى والصحاري والمفازات الممتدة[37]. إنّه مجال المتناقضات الطبيعية والمناخية التي بلغت حدّ الضديّة العنيفة، ما أثر سلبا على أمزجة زائريه وجعلهم غير مرتاحين أثناء إقامتهم أو مرورهم بالمكان، بسبب التباين الشديد والسريع بين مجالاته الباردة والحارة وفق تبرير الكاتب[38]. فقد تأثرت صحته في مدينة بوقوتا Bogota الكولمبية التي وصف أرضها كالآتي :" أرض حامية جدا وكثيرة الأمراض. ففي تلك السنة صار مرض عظيم. ولكن مات من الطرفين مقدار ألف نفس والباقي مرضوا وأنا مرضت، لكن الرب شفاني بواسطة ملكة القديسين مريم العذراء ومار إلياس الحي[39]".

وشملت غرابة المناخ وتطرّفه أصناف النباتات، فشاهد الكاتب على سبيل المثال أثناء عبوره نحو البيرو"أغصانا ساوية معدلة من غير ورق، وفي كل غصن ثلاث جوزات مثل القطن، فإذا انفتح جانب الجوزة رأيت داخلها حمامة بيضاء بجناحها ورجليها، ومنقارها أحمر وعيونها سود فهذه يسمونها زهرة الروح القدس. وكثير من حكام السبنيولية أرادوا أن يحضروا منها ويزرعوها في إسبانية فما قدروا [40]".

ويبدو أن الطبيعة الأمريكية العنيفة قد انحازت إلى نصرة السكان المحليين في حربهم ضد الوافدين الأوروبيين، فقد ذكر الكاتب "فيها (هافانا بكوبا Havane) نوع من الحشيش يشبه الخيزران الرفيع. فلمّا يمر عليه رجل أبيض عابر الطريق يرتفع من الأرض مثل عود السهام

ويدقر(يخز) الإنسان. ولا يشفى المصاب بهذه الدقرة إلى الموت، لكنه لا يدقر الهنود العبيد ولا يضربهم.[41]".

وامتدت غرابة المجال وعنفه إلى عالم الحيوان، فكانت الحيوانات على غير العادة: ضخمة وغريبة كالتي شاهدها الكاتب "على جزيرة تسمى ترتوكا (Toringa) وهذه الجزيرة غير مسكونة لأن فيها زلاحف (سلاحف) كبيرة أزيد من ذراعين طولا وعرضا. والمراكب تروح وتتصيد من هذه الزلاحف وتملحها لأجل زوادة(يقصد الزاد)[42]". كما ذكر الكاتب معاينته لحيوان شديد الخطورة يشبه :" التنين يسمى "قيمان" كالتمساح، وفمه واسع طويل مقدار خمسة أشبار وطول جسده خمسة أذرع. هذا إذا صادف إنسانا يبتلعه في الحياة، ولكن الإنسان الميت لا يأكله، فيخرج من الماء ويطوف قرب النهر. فإذا وجد إنسانا أو حيوانا بالحياة يبتلعه، ويركض على يديه ورجليه كمثل يدي السباع...[43]". وتحدث الموصلي أيضا عن حيوان غريب يزور فقط النائمين، فهو"خفاش الليل كبير يجي إلى الإنسان وهو نايم ويبدأ يفصده ويمص دمه ويستفرغه، وبجناحه يهوي على ذلك الإنسان ليطيب له النوم. ولا يزال يفصد ويتقيا الدم إلى أن يفيق الإنسان نصف غشيان من كثرة الدم الذي خرج منه.[44]". وتكلم الكاتب عن وجود نوع من القصب يصل ارتفاعه إلى أربعين ذراعا وصنف آخر من الطيور يجيد الكلام [45].

ولم يقتصر عنف المجال كما بدا لإلياس يوحنا على البرّ بل امتد إلى البحر أيضا، إذ "يوجد في هذا البحر(المقابل لبنما) في دربنا مكان يسمى "كوركونا (Gorgone) " يعني دوّار البحر، فإذا وقع مركب هناك يبقى خروجه أمرا عسيرا إلى وقت ما تأتيه ريح عاصفة تخرجه من هناك، وإلا يهلك أناسه من الجوع. وهذا البحر السفر فيه مخاطرة بسبب شدة أمواجه، يسمى البحر العجاج المتلاطم بالأمواج، لأن العابر فيه مفقود والخارج منه مولود.[46]".

ولقد امتدت مواطن الغرابة إلى طبيعة أجساد ساكني المجال القدامى، فكانت غاية في الضخامة وشبيهة بما ورد في نصوص الديانات السماوية حول بداية الخلق وضخامة الإنسان الأول، حيث عاين الكاتب في إحدى المغارات وجود عظام ثخينة وجماجم كبيرة جدا على حدّ تعبيره، موردا أنه اقتلع " ضرسا كان هذا قد كبره حتى أنه كان يزن مائة مثقال لثقله. وأيضا تأملت في عظم الساق وقست أحدها فكان طوله خمسة أشبار. ففي بعض البلاد عمل أحد المصورين قياسا وتخمينا لهذا الجسم، فوجد ارتفاعه خمسة وعشرين شبرا، ثم خرجنا من المغارة متعجبين.[47]".

ولم يغفل الكاتب ذكر تمثلات الهنود الحمر للأوروبيين عندما وفدوا إلى ديارهم والتقوهم للمرة الأولى وعدها الكاتب تمثلات غريبة، فعندما "وصلت مراكب السبنيولية إلى تلك البلاد واكتسبوها، كان الهنود يظنون أن المراكب هي حيتان البحر، وقلاع المراكب كانوا يظنونها جناح الحيتان، لأن إلى ذلك الحين ما كانوا رأوا مركبا. ولما كانوا ينظرون إلى الخيل وراكبها كانوا يظنون أن الفرس وراكبها شققة (قطعة) واحدة.[48]". وقد نجد في انعزالية سكان "العالم الجديد "كما وسمه المستكشفون الأوروبيون حينها عن بقية قارات العالم مبررا لتلك التمثلات المذكورة ما جعل ساكنيه يتبادلون أفكارا ويبنون تمثلات ورؤى مخالفة لما كان سائدا عند الشعوب الأخرى.

وعند اعادة النظر فيى تمثلات إلياس يوحنا للمجال الأمريكي بصفة اجمالية، يمكننا إدراجها حسب تقديرنا في نفس خانة الرؤية العربية والأوروبية المتعالية عن بقية المجالات المغايرة لها، والتي حفلت بها تقارير الرحّالة والمستكشفين للفضاءات القصيّة والمجهولة. فقد حملت رؤية الكاتب للفضاء الأمريكي مفاضلة من نوع خاص لمجاله الذي عاش فيه أي الشرق، وكذلك للمجال الأوروبي الذي انطلق منه نحو أمريكا. وبالتالي فقد كان يصوغ أفضلية العالم القديم أو ما عرف عند العرب ب"جزيرة العالم" أي كل من قارة إفريقيا وآسيا وأوروبا. كما ذكرتنا تفاصيل تلك الصورة بما أورده الجغرافيون الأوروبيون القدامى أو ما عرف بالرصيد الجغرافي الإغريقي – الروماني الذي تناول مواضيع متصلة بالمجال الإفريقي في زمن بدايات تشكّل علم الجغرافيا. حيث حفل ذلك الرصيد الجغرافي بمقارنات بين إفريقيا بأوروبا، فحط من قيمة الأولى وأعلى من شأن الثانية. فبدت إفريقيا موطن القفر والجفاف، وقلة العمران، وطغيان الضعن في نمط عيش السكان وفقدانهم للأمان خشية هجمات الحيوانات البرية. ومدح قارة أوروبا التي وجدها أرحب مساحة وأقدر على استيعاب أنشطة بشرية وإنتاج حضارات جديرة بالاهتمام[49].

2 – طبيعة ثرية:

كثّف الكاتب من تنقلاته في المستعمرات الإسبانية الشاسعة لأجل زيارة أكثر ما يمكن من المدن والبلدات، ولأجل تفقد مناجم الذهب والفضة والزئبق الذي يستخدم في صناعة الفضة. فكان لا يفوت الفرصة للحديث عن مدخرات كل منجم وطريقة استخراج المعادن وقيمة المواد المستخرجة منه. وكان يلح في بلوغ تلك المناطق وطلبها رغم المخاطر التي كانت تحف بالطرق المؤدية إليها. وقد انتهز الكاتب مروره بأحد المناجم ليذكر تفاصيل عن نسق الأعمال داخله

وطبيعة المواد المستخرجة منه متحدثا: "ودخلنا إلى خاوخا[50]، وبقيت هناك يوما وليلة من شدة البرد وكثرة الأمطار وثاني يوم خرجت منها قاصدا الجبال التي هي معدن الذهب إلى قرية تسمى صاروما (Zaruma) فصرنا في درب عسر المجاز بين الجبال مقدار ثلاثة أيام ووصلت إلى تلك القرية المذكورة وهي على رأس جبل وحولها المعادن الذهبية. فنظرت جميع تلك الصنائع التي بها يستخرج الذهب من الحجارة. أولا يُطلعون الحجارة من المعدن، ويسحقونها بطاحون الماء، وحينئذ يغسلون ذلك التراب المسحوق ويقطعون منه الذهب بتصويله في الماء، ثم يذوّبونه ويسكبونه أقراصا. وأنا اشتريت من ذلك الذهب أربع مائة مثقال لأن ما كان زمان شغل كل الطواحين.[51]". وكان للكاتب معرفة دقيقة بكيفية توزيع حصص المعادن المستخرجة والموجهة نحو خزينة الملك بإسبانيا فذكر أن قيمة :" خزنة الملك خمسة وعشرين(الصواب عشرون) مليونا وكل مليون عشر كرات وكل كرة ماية ألف غرش. فأما هذه الخزنة ما تجيء كلها إلى إسبانية بل يقسمون علايف (رواتب وأجور) على أرباب الوظايف وإلى الجنود الحارسين الجزائر والقلاع الكائنة في بلاد الهند المنسوبة إلى بلاد البيرو.[52]"

لقد تبيّنت للكاتب بعد تجوّاله في المستعمرات الإسبانية وفرة معادن الذهب والفضة التي كانت مطلوبة بشدة في أوروبا ومبذولة بسخاء في المجال الأمريكي. فأينما وليت وجهك تجد الذهب، حتى أنه رُوي للكاتب وجود الذهب على سطح الأرض دونما حاجة إلى بذل الجهد لاستخراجه من باطن المنجم مثلما حصل لبعض البحارة في جزيرة لوس لدرونس (Isla de los Ladrones) التي كانت بجوار جزيرة مونطوزا (Montuosa) والتي استراح فيها يوحنا الموصلي قبل بلوغه المكسيك في كانون الأول (ديسمبر) 1681. فقد قذفت رياح قوية بمركب على شاطئ جزيرة لوس لدرونس " فجعل البحرية يعمرون بعض أشياء في مطبخ المركب... فطلعوا إلى الجزيرة واحضروا منها رملا ليملؤوا الحوض الذي يطبخونه عليه ثم سافروا من تلك الجزيرة. وثاني يوم طبخ لهم الطباخ مثل العادة فأراد أن يحركش(يحرك) النار فرأى الرمل كالحجر فقلعه فإذا هو قرص ذهب فلما أرادوا الرجوع إلى الجزيرة فما استطاعوا لأنهم لم يكونوا أكدوها ولا وزنوا قيراطات الشمس.[53]" .

ومهما يكن من أمر، فقد حمل توصيف الرحالة العربي للمجال الأمريكي: طبيعة وموارد وسكانا جملة من التعبيرات والأفكار المحيلة على الحضور البارز للعجيب والغريب في جلّ فصول رحلته. وهو أمر متداول غير غريب عن المصادر الجغرافية العربية الكلاسيكية، وركن أصيل كما ذهب إلى ذلك الباحث خالد التوزاني. فقد شكل العجيب في الثقافة العربية محور اهتمام

الرحالة والمتلقي معا، فالأول يرى في انتقاله في المكان هو مغادرة من رقعة المألوف ليقف على عجائب البلدان وغرائب الموجودات. والثاني أي المتلقي فهو يبحث في الرحلة المدونة عن ذلك "العجيب" الذي أسر الرحّالة وجعله يقطع المسافات ويغادر أهله وبلده برغبة ذاتية، ليتجرع آلام الغربة ويعرض نفسه إلى المهالك والمخاطر في سبيل نيل مقصوده في رؤية العجيب والتلذذ بوصفه والتفاخر برؤية العجائب وبلوغ مناطق موغلة في الغرابة لم يصل إليها غيره[54].

III – "خذ صليبي وهات ذهبك"

قد تلخص هذه العبارة غايات إلياس يوحنا ورجال الدين عامة الذين زاروا المجال الأمريكي منذ نهاية القرن الخامس عشر والتي انحصرت في غايتين رئيسيتين هما: تنصير سكان المجال واستخراج المعادن النفيسة وتوجيهها إلى إسبانيا.

1- إلياس يوحنا أو كريستوف كولمبوس يبعث من جديد:

تذكرنا مسارات رحلة إلياس الموصلي ومسالكها في جانب منها بمسالك وأهداف رحلة كريستوف كولمبوس، ذلك المستكشف الجنوي للقارة الأمريكية والمُرسل من قبل إيزابيلا ملكة قشتالة. وللمقارنة بين الرحّالتين عولنا على ما أورده الباحث تودروف تازفيتان من مقاطع ونصوص ومذكرات دوّنها كولمبوس وهو في طريق رحلته، وما عاشه من مغامرات على أرض أمريكا، أو القارة الخطأ التي بلغها عن طريق الخطأ كما نعتها تودروف[55]. بعكس رحلة إلياس يوحنا التي كانت دواعيها - حتى وإن لم يصرح بها في نصه - ومساراتها مسطورة ومعلومة منذ بدايتها.

لقد حصر كريستوف كولمبوس آماله في بلوغ شرق آسيا عبر المحيط الأطلسي في هدفين رئيسيين لم يكونا خافيين في يومياته ورسائله وتقاريره. لقد كان دافعه الجوهري أن يصبح ثريّا ويجمع أكثر ما يمكن من ثروات شرق آسيا التي اطّلع عليها في كتاب "رحلات ماركو بولو"[56] ذلك التاجر البندقي الذي دوّن فيه خلاصة رحلتيه الطويلتين إلى الصين. فقد أظهر مبعوث التاج الإسباني شوقه إلى بلوغ مواطن الذهب والفضة منذ أيامه الأولى في رحلته الاستكشافية، التي سجلها في مذكرات يوم 15 اكتوبر 1492 حتى قبل وصوله إلى وجهته.

ويبدو أن بعض الهنود قد فهموا أطماعه ورغبوا في صرفه عن مجالاتهم، فأورد المستكشف الجنوي في يوميات 22 دسيمبر 1492 :" عند الفجر، أُبحر من أجل تحديد مسار بحث عن الجزر التي قال له الهنود أن بها الكثير من الذهب، وأن بعضها بها الذهب أكثر مما بها من التراب[57]". ولم يكن بلوغ الذهب والثروة مطمحا فرديا عند كولمبوس، بل كان هاجس جميع رفاقه وملاذهم الأبرز في الرفع من معنوياتهم عند مواجهة الأخطار واشتداد خوفهم بعدم بلوغ

اليابسة. فقد أورد الأميرال كولمبوس في يومياته بتاريخ 10 أكتوبر 1492 أن في ذلك: "اليوم، غاب البر عن أبصارهم تماما وأخذ كثيرون يتحسرون ويبكون خوفا من ألا يروا البر مرة أخرى لوقت طويل. وقد أدخل الأميرال السكينة إلى صدورهم بوعود عظيمة بالأراضي وبالثروات ليعزز أمالهم ويبدد مخاوفهم من رحلة طويلة... وهنا لم يستطع الرجال مواصلة تحمل الأمر وأعربوا عن الشكوى من الرحلة الطويلة، لكن الأميرال بذل أقصى ما لديه من جهد لبث الشجاعة في صدورهم، مؤكدا على الأمل الكبير في المغانم التي سوف يحققونها.[58]".

لم يكن الجشع والرغبة في الحصول على معادن آسيا واكتساب مجد الاستكشاف ورسم طريق جديدة مؤدية إلى آسيا الدافع الوحيد لمغامرة كولمبوس، فقد كان يحمل في نفسه آمال راهب يبتغي أن يكون أول المبشّرين بالمسيحية في عوالم مجهولة. فقد كان المغامر الجنوي ينوي لقاء الخان الأعظم امبراطور الصين الذي ترك عنه ماركو بولو صورة لا تنسى بقوله:" إنني عازم على الذهاب إلى البر وإلى مدينة جيساي وتقديم رسائل سموكما[ملكي إسبانيا] إلى الخان الأعظم، والتماس رد منه والعودة بهذا الرد إلى الوطن[59]". وكان له هدف طموح في أن تغمر المسيحية كافة أنحاء العالم وفق ما أعرب عنه في إحدى رسائله إلى البابا، وأن تكون بداية تحقيق حلمه من شرق آسيا بعد أن أورد ماركو بولو رغبة إمبراطور الصين في تعلم ديانة المسيح.

إن ترابط الحاجة إلى المال والرغبة في فرض المسيحية لا تستبعد إحداهما الأخرى، بل هنالك روابط وثيقة بين الرغبتين: فالمال وسيلة وفرض تعاليم الانجيل غاية. لقد قصد كولمبوس من رحلته توفير الذهب اللازم لتسيير حملة لأجل استعادة بيت المقدس بعد أن ذكر ماركو بولو أن الذهب "يولد" بالصين بوفرة[60]. ولكنه أصيب بخيبة كبرى حال وصوله فهو لم يجد الذهب الذي وعد به ممولي رحلته، عندها قرر أن يستبدل الذهب عبيدا، فأرسل سفنا مشحونة هنودا إلى إسبانيا في عديد المرات. فقد بعث في فيفري 1495 شحنة أولى تعد حوالي 500 هندي تتراوح أعمارهم بين 12 و35 سنة، وأردفها بثانية في شهر جوان ب300 آخرين. كما تحركت مع حركة استعباد الهنود نزعة احتلال أراضيهم بإقرار نظام إقطاعي على الطريقة الأوروبية القروسطية. حيث تم توزيع الأراضي الأمريكية المحتلة وما عليها من سكان في شكل إقطاعيات Encomienda على الوافدين الإسبان. ولقد أكدت كل الخطوات التي أقدم عليها كولمبوس ومن جاء من بعده من ممثلي السلطة الإسبانية على أن الرغبة في الثراء وشهوة السيطرة كانتا تحركان سلوك الإسبان، لكن هذا السلوك مشروط أيضا بنشوء فكرة وتكوّن صورة عن

الهنود تراهم فيها أدنى منهم، يحتلون مرتبة وسطى بين البشر والحيوان، فدون هذا الافتراض ما كان يمكن للتدمير أن يحدث[61].

عمل إلياس يوحنا مثلما تدل على ذلك عديد المؤشرات الواردة في نصه على مواصلة ما بدأه كريستوف كولمبوس ورفاقه ومن لحق بهم على مواصلة نشر المسيحية وتوطيد ثوابتها في مجالات حديثة العهد بالتنصير. فقد كان الرجل يقيم قداسه أينما حلّ: في كل قرية أو مدينة أو محل من أمريكا الإسبانية استجابة لطلب الحاكم أو بدعوة من القساوسة أو السكان، مستخدما أدوات عبادة مستجلبة من الشرق حظيت بمباركة البابا بروما مثلما أشار إلى ذلك في غير موضع من كتابه. ولم يخف الكاتب خبر تقاضيه أموالا وافرة وهدايا قيّمة من معادن ثمينة وخيول وطيور نادرة نظير خدمته. غير أن عملية التنصير الجديدة قد شقت وحدة المجال وانسجامه وجزّأته إلى مجالين ثقافيّين مختلفين: انصهر الأول في بوتقة الثقافة الغربية دينا ولغة، فألف الكاتب لغتهم ومعتقدهم - رغم انحداره من مجال ثقافي شرقي حافظ على استخدام اللغة العربية أو اللغات الشرقية القديمة كالسريانية - وآثر الثاني المقاومة والاستمساك بمقومات هويّته الأصلية، فبدا في ذهن إلياس يوحنا كمجال مدنس حافظ ساكنوه على ارتكاب الشرور والمفاسد.

2 – جدلية المقدس والمدنس في الرحلة :

تنقل الرحّالة العربي في أرجاء المجال المتنصر ولكنه لم يحدثنا عن كيفية اعتناق سكانه للدين الوافد وإن كان ذلك الاعتناق سلميا أو عنيفا. ورغم ذلك الصمت فقد وجدنا بعض الإشارات التي أقحمها الكاتب نراها بطريقة موجّهة تحيل على الاستعداد المسبق للسكان المحليين لتقبل مبادئ المسيحية كديانة مُنقذة من جميع الأخطار والمكاره في الدنيا والآخرة، وعلى قدم الإشارات الربانية لمسيحية المجال. فقد ذكر الكاتب حكاية تلقفها عن طريق السمع مفادها أنه: "بينما كان أحد الهنود يفلح الأرض، وجد أيقونة مريم العذراء مطمورة في الأرض وهي عجيبة جدا في الرؤيا، فأخذها إلى بيته وأخفاها في صندوق له. فلما جاء ثاني يوم إلى الحقل ليفلح وجدها في الحقل فأعادها ثاني مرة إلى بيته. فثالث يوم جاء أيضا ليفلح فوجدها هناك. ففعل كذلك عدة مرات وما أمكنه أن يضبطها في بيته. ثم أنه أعلم بذلك أسقف البلد فخرج حينئذ الأسقف واستقبلها بإكرام، وأخذها بزياح إلى مكان قريب من البلد، وبنى لها كنيسة شريفة وأسكنها هناك، وتسمى كنيسة مريم العذراء جكيكواه على اسم تلك الضيعة، ويقصدونها من كل النواحي للزيارة. ولمّا يحدث في هذه البلدة طاعون يأخذون هذه الصورة

ويخرجون بالزياح إلى بلد كيتو، فتبقى عندهم تسعة أيام بكل إكرام ووقار، وبواسطة هذه الشفعية ينقطع الطاعون عن البلد.[62]".

لقد كان الهم الأول للإسبان منذ أن وطئوا الساحل الشرقي الأمريكي احتواء الهنود الحمر ضمن سياقات الثقافة الغربية أي جعلهم يتكلمون الإسبانية ويعتنقون المسيحية. فبدأت عملية تمسيح المجال الإسباني بالمستعمرات الأمريكية منذ سنة 1524 وبتمويل من الامبراطور شارل الخامس وتحت إشرافه وبتأييد من البابا. فتم ارسال عديد الرهبانيات كالفرنسيسكان Les franciscains والدومنيكان Les dominicains والأغوسطسيين Les augustins مثلما فعلوا في الشرق الأوسط في بداية القرن الموالي. فبنوا الأديرة والكنائس لأجل نشر المسيحية في صفوف هنود أمريكا وأيضا لأجل اعادة فرض مسيحية نقيّة وطاهرة لم يمسسها دنس كالتي تم تدنيسها بأوروبا من وجهة نظر المبشرين. ولقد كانت نتائج تنصير الهنود في البداية ضئيلة ولكن تغير النسق ليصبح أكثر سرعة بعد فرض تعلم اللغة الإسبانية بداية من سنة 1550. وترافق مع عملية تنصير المستعمرات الإسبانية تنامي هواجس تغليف نصرانيتهم بطقوس ومعتقدات نابعة من الديانة الأصلية للهنود واستبطانها مع الطقوس المسيحية الوافدة. فعملت محاكم التفتيش ودون جدوى لمنع حصول ذلك المزج باعتبار أن أحكام الثقافات ونزعاتها في التفاعل والمثاقفة أو الانصهار أقوى من كل القوانين والإجراءات الحمائية الراغبة في توطيد الحصون والحواجز.[63]

ولقد اتصفت الفضاءات الأمريكية كما ارتسمت في ذهن إلياس يوحنا حال وصوله بعدم تجانسها وانقطاعها بين أفضية مقدسة وأخرى أقل قيمة أو مدنسة. وهو تصنيف فريد يحيلنا إلى مفاهيم كان قد استخدمها الباحث مرسيا إلياد، وعمل على فك رموز ومدلولاتها. فترتسم الأفضية المقدسة في أذهان المؤمنين حسب إلياد كأفضية ذات مدلول وحقيقة محددة في المكان، مشبعة بالإشارات والعلامات الربانية. فهي تتيح للمؤمن فرصة الاتصال بالسماوي إما عبر الصعود إلى السماء أو عبر نزول الآلهة أو ملائكتها إلى الأرض[64]. أما البقية فهي أفضية من دون قيمة وبلا شكل محدّد، فراغ غريب وفوضى مسكونة بأشباح وبشياطين وبغرباء. ولا يعود أصل هذا التصنيف حسب مرسيا الياد إلى فترة ظهور النبوّات السماوية وإنما مع بداية الخلق وظهور الشكل الأولى للتديّن. وفي هذه الحالة فإن الإنسان المتدّين لا يستطيع أن يحيا خارج فضاءات مقدسة وفي مناخ غير مشبع بالقداسة والروحانيات، فهي مصدر الحياة والخصب. على عكس الفضاء المدنّس الذي يجمع كل أصناف البشر وخصوصا منهم ممن لا يلتزمون

بقانون أو ناموس، وتغلب عليهم الوحشية، مثلهم كمثل الذين تحدث عنهم إلياس يوحنا عند لقائه بأناس من قرية تدعى (بوقرتنبو) "وهي ستر، يعني حدّا ما بين الهنود الكفرة والسبنيولية، يأخذون الرجال والنساء والأطفال إلى أرضهم ويستعبدونهم، ولمّا يكون عندهم عيد أم عزيمة يذبحون واحدا من السبنيولية ويشوونه ويأكلونه. وعند هؤلاء الهنود يوجد جنس حشيش إذا علكوه يسكرهم ويعطيهم شجاعة وقوة كشراب الخمر، يسمى ذلك الحشيش كوكا(coca). وما يوجد عندهم لا قمح ولا شعير سوى درر مصر(الذرة المصرية) ويجعلون من هذه الدرر بوزة ويشربونها فتسكرهم كالعرق. وهؤلاء الهنود كثيرو العدّ شديدو القوة وما يقدر السبنيولية أن يقاوموهم لأنهم ساكنون في جبال شامخة وعليهم أمير مدبر وهو الذي يحكم عليهم[65]".

لا تخلو الفضاءات المقدسة بدورها من وقوع الآثام والمظالم ولكن الأخطاء المرتكبة فيها هي بمثابة دروس إلهية يستلهم منها المؤمنون العبر والمواعظ، وهذا الدرس استخلصه القس الموصلي عندما أورد حكاية أحد أعيان الإسبان كان قد جمع أمواله بالظلم والقهر على حدّ توصيف الكاتب وخبأها في جرار وقام بطمرها. وعند وفاته "لما حفروا المكان وجدوا الخابيتين مملوءتين دما لا يوجد فيهما ولا دينار واحد. فكل الذين كانوا حاضرين تعجبوا من هذه العجيبة، لأن عدالة الله ظهرت هكذا في المال المجموع ظلما. فلما علم بذلك مطران البلد أرسل يوصيهم أن يستروا ويخفوا هذا المثل الردي.[66]".

وكما تفرق المعالم الدينية بين الفضاءات المقدسة والمدنسة، فإن زمن ممارسة الطقوس بدوره يقسم الزمن إلى زمنيين مختلفين. فالزمان عند الإنسان المتدّين يشبه المكان من حيث التقسيم، فهو ليس وحدة زمنية متجانسة، ففيه نجد الزمن الدنيوي أو الزمن العادي الذي نقوم فيه بأعمالنا اليومية المعتادة فيكون زمنا رتيبا، والزمن المقدس المشبع بالدلالة الدينية وفيه تقام الشعائر وعبرها ينتقل الإنسان من الزمن العادي إلى الزمن المقدس. كذلك كان يفعل إلياس يوحنا في كل مكان يحل به في أمريكا الإسبانية حيث كان يشدّد على إقامة قداسه بطريقته الشرقية بقصد نشر طهر المسيحية وتنقيّة النفوس والفضاءات. فوجد إتيان تلك الطقوس تبجيلا وترحابا في نفوس مسيحيي أمريكا اللاتينية، لأنها تجذبهم إلى ديانتهم النقيّة والأصلية. فصلوات القس العربي باللغة السريانية تلهم من دون شك الذاكرة الجماعية لمسيحيي أمريكا بالرمز والمعنى، وتمكن ممارسيها من العيش في زمنين اثنين معا: زمن اسطوري متخيّل، وآخر فيزيائي حقيقي. فيوقف الزمن المتخيّل الزمن الحقيقي ويتحقق العود الأبدي إلى زمن البدايات[67].

إن انشداد إلياس يوحنا إلى دينه وعدم اكتراثه بمعتقدات السكان المحليين المناوئين للانصهار في ثقافته أو "الكفرة" على حد توصيفه جعلنا نبحث في سير روّاد آخرين ممن زاروا أمريكا بغاية المساهمة في تنصيرها، ولكنهم تعاملوا بطريقة مخالفة. ومن تلك الشخصيات الدينية الإسبانية يمكننا الوقوف عند سيرة القس الإسباني لاس كاساس[68] الذي اعتبر أن المساواة بين الأجناس أساس كل سياسة إنسانية فـ:" القوانين والقواعد الطبيعية وحقوق الإنسان مشتركة بين جميع الأمم: المسيحية وغير المسيحية، وآيّا كانت ملتها، وشرعها، وحالتها ولونها ومكانتها، دون اختلاف[69]. فقد كان لاس كاساس لين المعاملة مع الهنود رغم الاختلاف الديني، ومتعاطفا معهم ضد الظلم الذي سلط عليهم. فعرف عن الرجل رفضه لكل أشكال العنف في استقطاب الهنود وتنصيرهم، بل كان ميّالا إلى الشكل السلمي في عملية التبشير[70]. لقد ناضل لاس كاساس في أمريكا الإسبانية أولا ثم بأوروبا لأجل استصدار قوانين تحد من التنصير القسري للهنود، ومن سياسة النهب لخيرات أمريكا الذي حصد أرواحا كثيرة من السكان. وهذا على عكس مواقف الموصلي تجاه السكان المحليين التي غلب عليها الخطاب التبريري لإثبات أحقية الاسبان في استغلال ثروات الأمريكيتين، ودعمه للحملات التبشيرية لأجل كسب المزيد من الأتباع لكنيسته.

الخاتمة

تحيلنا المعطيات الواردة في نص الموصلي وأسلوبه حسب تقديرنا إلى تصنيف نصه ضمن نصوص الجغرافيا الوصفية، كجنس أدبي يختلط فيه التسجيل الجغرافي مع التسجيل التاريخي عن الأقطار والأمصار. وهذا معناه أن حصاد الرحلة يتأتى من مصدرين رئيسيين هما: المعاينة المباشرة والسماع، وهو ما يمنح الأثر المكتوب الرؤية الجغرافية للمكان.[71] وهو صنف أدبي مألوف عند العرب إذ عجت مؤلفاتهم بهذا النوع الجغرافي الذي دوّن فيه عدد غير قليل من الجغرافيين والرحّالة نذكر منهم على سبيل المثال الحسن الوزان الفاسي صاحب مؤلف "وصف إفريقيا".[72]. إلا أن نص الرحلة الذي حبّره إلياس يوحنا قد انفرد بخصوصية فصل المنظور الجغرافي الطبيعي عن المنظور البشري، بمعنى أن الجانب الطبيعي قد استحوذ أكثر بكثير من الاهتمام عن الجانب البشري.

وأمّا عن علاقة الكاتب بالفكر الجغرافي الأوروبي فإن الرحالة العربي لم يبرهن على تأثره به رغم تحقيقه لتطوّرات كبرى بعد توالي الاكتشافات الجغرافية وتطوّر فن الملاحة الأوروبي، وهو ما غيّر النظرة الجغرافية والتمثلات القديمة للعالم. ولم نتحسس تأثره بمستويات تطوّر العقل

الأوروبي إلى حدود القرن السابع عشر رغم اقامته بأوروبا لمدة سبع سنوات. وهو فكر عمل على دحض الخرافات والأساطير والتمثلات القديمة التي بنيت حول الثقافات والشعوب المجهولة. كما أن معاينته الجغرافية كانت تفتقد للتفسير وغاب عنه التماس الدواعي والأسباب وتحري العلاقات بين مختلف مكونات المشهد الجغرافي طبيعة وسكانا، حاضرا وماضيا. ومن المآخذ على كتابه أيضا غلبة نظرته الشمولية للمجال وغياب التفصيل والتخصيص، وهو أمر مجانب للواقع الجغرافي والحضاري للمنطقة. فالأحوال المناخية والبشرية والحضارية للمكسيك وأمريكا الوسطى هي بالضرورة مخالفة لواقع المنطقة الاستوائية، وواقع السهول الساحلية مخالف لطبيعة عيش سكان الجبال ونمط عيشهم. ولم يكن خافيا عن قارئ نص رحلة الموصلي غلبة الحديث عن الذات أكثر من توصيف أركان المجال المزار، ما يوحي بأن غاية التدوين لم تكن ترمي في المقام الأول إلى تطوير المعارف الجغرافية للعرب أو حتى للأوروبيين بقدر ماهي سرد لمغامرات الكاتب وبطولاته وإبراز لاستماتته في القيام بوظائفه الدينية أو السياسية كما طلب منه في الفاتيكان أو في قصر ملك اسبانيا.

وفي ما يتعلق بمجمل تمثلات الكاتب للمجال الأمريكي، فإن إلياس يوحنا قد تبنى أفكار أوروبا الناظرة بدونية إلى العوالم التي تقع خارج مجال أوروبا أو ماهو خارج "العالم القديم". فقد حملت القارة الأمريكية ما كانت تحمله إفريقيا من صورة مشوهة ودونية في مؤلفات الجغرافية الكلاسيكية الأوروبية. وسكت إلياس يوحنا مثلما فعل جلّ الرحّالة الأوروبيين الذين زاروا المجال الأمريكي عن البحث في رؤية السكان المحليين للقوى المستعمرة والوافدة. فقد عمل الخوري إلياس يوحنا عند حديثه عن المستعمرات الإسبانية بقارة أمريكا على بناء خطاب تبريري يبرز ثراء المجال الأمريكي كمجال خام لا يزال محافظا على خصوصياته الأولية كما كان في زمن الخلق الأول، ثم تغير مشهده نحو الأفضل بفضل قدوم الإسبان الذين وضعوا فيه لمسات الإنسانية الحديثة المنتصرة على الطبيعة نتيجة استخدامهم للتقنيات الجديدة ولاعتناقهم للمسيحية واستخدامهم اللغة اللاتينية. وعلى الرغم من النقائص المذكورة، فقد كان لكتاب "صياحت الخوري إلياس الموصلي" وقع ايجابي في أوساط النخبة الدينية والثقافية بمدينة الموصل، حيث بدأت تتشكل في أذهان الموصليين رغبة في السفر إلى أوروبا وأمريكا لأجل السياحة والتعلّم. ومن هؤلاء نذكر رحلة القس خذر هرمز البنا الموصلي(1679 - 1755) الذي كان في مقدمة المتأثرين بتلك النزعة الجديدة، فقد قصد أوروبا في رحلة علمية وسياحية سنة

1724 مستهديا على أغلب الظن برحلة إلياس يوحنا. قبل أن تتولد نفس الرغبة في صفوف الطلبة المسلمين في كل من تركيا ومصر وتونس والمغرب والجزائر في أوقات لاحقة.

الهوامش:

[1] - وحسب تقدير محقق الرحلة نوري الجراح ومن قبله الأب انطوان ربّاط اليسوعي فإن هذا النص هو أقدم كتاب عربي تحدث عن أمريكا الوسطى والجنوبية ما جعله يتصف بفرادة وقيمة مميزة في مكتبة مؤلفات الرحلة العربية حتى انه يمكن وسم صاحبه بكريستوف كولمبوس العرب.

[2] - في واقع الأمر بدأت رحلة إلياس يوحنا سنة 1668 تاريخ مغادرته لبلده العراق نحو القدس ومنها إلى أوروبا، وكانت بداية الرحلة نحو أمريكا سنة 1675.

[3] - المقصود هو سياحة.

[4] - قاسم(عبده قاسم)، "الذهب والعاصفة"، ضمن مؤلف جماعي **الغرب بعيون عربية**، وزراة الاعلام الكويتية، 2005، ص 99.

[5] - نفسه، ص 97.

[6] - رباط(أنطون)، **رحلة أول شرقي إلى أمركة**، المطبعة الكاثوليكية للأباء اليسوعيين، بيروت ، 1906 ، ص 2.

[7] - نشير في هذا الصدد بالمجهود الكبير للباحث العراقي أدمون لاسو في التعريف بصاحب الرحلة وأعماله، ففي مقاله الموسوم "من أعلام السريان: الرحالة الخوري إيليا أبونا"، **مجلة دراسات**، العدد 43 سنة 2010. كشف اللثام عن جوانب ظلت خفية لمدة طويلة حول سيرة الرجل ورحلته إلى أمريكا.

[8] - اعترض الباحث العراقي أدمون لاسو على اسم إلياس مبينا ان الاسم الحقيقي للكاتب باللغة العربية هو إيليا أبونا مبينا أن سبب هذا التحريف يعود إلى غلبة النطق اللاتيني على النطق العربي، مقدما على ذلك عديد الحجج والبراهين، يمكن العودة إلى مقاله الموسوم " من أعلام السريان، رحلة إيليا ابونا" ، م س، ص 72.

[9] - الكنيسة الكلدانية هي كنيسة تنتمي إلى المذهب الشرقي للكاثوليكية، الذي يضم كنائس مستقلة من أصل شرقي والتي تحتفظ بشعائرها وتقاليدها ولكن تعترف بسلطة بابا روما. شهدت الفترة بين منتصف القرن السادس عشر حتى أوائل القرن التاسع عشر ازدياد تأثير الكنيسة الكاثوليكية بين أتباع كنيسة المشرق في الدولة العثمانية، وهو الأمر الذي نتج عنه ازدياد قوة الكنيسة الكلدانية .

[10] - **إغناطيوس كر اتشكوفسكي** مستشرق روسي، أحد مؤسسي مدرسة الاستشراق الروسي ولد في 4 مارس 1883 في فيلنيوس وتوفي في 24 جانفي 1951 في لينينغراد. شغف منذ صغره بدراسة آراء المستشرقين وتعلم اللغة العربية. زار في شبابه منطقة الشرق العربي، حيث تنقل بين مصر وسوريا وفلسطين، فأطلع علي خزائن كتبها وتعرف إلي علمائها وأدبائه. ثم عاد إلى بلاده وعين أستاذا للعربية وثمة رأي يقول إنه كان مكتشف الأدب

العربي الجديد بالنسبة للغرب. من أهم اعماله واشهرها تاريخ **الأدب الجغرافي العربي**.، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، القاهرة 1961.

[11] - النسطورية هي مذهب ديني مسيحي ظهر في المشرق سنة 431 م، على اثر مجمع إيفيز المسكوني. سميت هذه العقيدة باسم نسطور بطريرك القسطنطينية الذي فضل استعمال عبارة كريستوطوقس(والدة المسيح) بدلا عن الثيوطوقس (والدة الله) في وصف مريم العذراء، انتشرت هذه العقيدة في القرن الثالث عشر خصوصا في بلاد فارس وشمال العراق. للمزيد حول الموضوع يمكن العودة إلى .

*التميمي، (عبد المالك خلف)، **التبشير في منطقة الخليج العربي دراسة في التاريخ الاجتماعي والسياسي**، 1982م.

* Larousse, dictionnaire encyclopédique, Nestorianisme, 1994, P696.

[12] - لاسو(أدمون)، " من أعلام السريان، رحلة إيليا أبونا" ، م س، ص 74.

[13] - نفسه، ص 72.

[14] - رباط(أنطون)، **رحلة أول شرقي إلى أمركة**، م س، ص 10.

[15] - الرويعي(حيدر جاسم)، "نشاطات الآباء الكرمليين في العراق حتى الحرب العالمية الأولى"، **مجلة القادسية للعلوم الإنسانية**، المجلد الثامن، العدد الأول 2005، ص 3.

[16] - رباط(أنطون)، **رحلة أول شرقي إلى أمركة**، م س ، ص 7.

[17] - نفسه، ص 10.

[18] - نفسه، ص 11.

[19] - لم يحدثنا إلياس الموصلي عن سبب اختياره زيارة المستعمرات الاسبانية بأمريكا ولا عن دواعي رحلته والمهمة التي كلف بها من قبل الملك الاسباني أو البابا.

[20] - الجرّاح(نوري)، **الذهب والعاصفة: رحلة إلياس الموصلي إلى العالم الجديد 1668 – 1683**. م س، ص 20.

[21] - نسبة إلى الكرملية، واسمها الرسمي رهبنة إخوة سيدة جبل الكرمل الذي يقع شمال حيفا بفلسطين، ويعرف أصحاب تلك الرهبنة باسم الكرمليين. تأسست في القرن الثاني عشر ميلادي في مملكة القدس وأعلنت انتماءها إلى الكنيسة الكاتوليكية، وانتشرت في عدة مجالات من العالم المسيحي. تعتمد في روحانياتها على النبي إلياس ومريم العذراء. للمزيد حول الموضوع يمكن العودة إلى :

- Anne-Elisabeth Steinmann, *Carmel Vivant*, Paris, St Paul, coll. « Terre et Louange », 4e trimestre 1963.

- Robert Serrou et Pierre Vals, *Le Carmel, Carmélites et Carmes*, Éditions Horay, 1957.

[22] - في رحلته من القدس إلى حلب كان إلياس يوحنا مرفوقا بالأب سباستياني الايطالي الذي كان في طريق عودته إلى روما بعد أن أرسل من قبل الفاتيكان في مهمة دينية إلى الهند، أدمون لاسو، " من اعلام السريان....."، م س، ص 77.

[23] - حسب أدمون لاسو زار الياس يوحنا روما ثلاث مرات، مرة أولى سنة 1659 برفقة الرحالة الإيطالي المونسنيوز سباستياني الكرملي(1623 - 1689)، اثناء اجتيازه العراق في اواخر عام 1658 راجعا إلى حلب وروما من رحلته الأولى إلى الهند. فحظي بمقابلة البابا اسكندر السابع (1655-1667)، ثم زار روما مرة اخرى عام 1692 حيث طبع فيها كتابه الديني **صلوات السواعي النهارية والليلية في استعمال الشرقيين.** وقابل فيها البابا انسونت الثاني عشر (1691 - 1700) الذي أنعم عليه بوظائف وألقاب عديدة.

[24] - تحدث أدمون لاسو عن عدد جملي 17 سفينة، "من أعلام السريان...."، م س ، ص 78.

[25] - الجرّاح(نوري)، **الذهب والعاصفة: رحلة إلياس الموصلي إلى العالم الجديد 1668 – 1683**. م س، ص 21.

[26] - في ظل غياب مؤشرات دقيقة من النص أو من خارجه جعلت الباحث نوري الجرّاح يذهب إلى هاتين الفرضيتين. **الذهب والعاصفة**، ص 24.

[27] - أرسل الفاتيكان في منتصف القرن السابع عشر عديد المفتشين commissaruis إلى المناطق التي انصهرت في الديانة المسيحية بصفة متأخرة مثل شرق آسيا، حيث أوفدت الكنيسة الأب هيرنيموس سباستياني Sébastiani سنة 1656 إلى الهند بصفته مفتشا رسوليّا لدراسة أحوال النصارى هناك. للمزيد يمكن العودة إلى: **رحلة سباستياني الكرملي إلى العراق** ، ترجمها من الإيطالية بطرس حداد، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2006، ص 9.

[28] - لاسو(ادمون)، "من اعلام السريان...."، م س، ص 72.

[29] - الجرّاح(نوري)، **الذهب والعاصفة**، م س، ص 16.

[30] - عددها أدمون لاسو كالآتي: نسخة مطرانية حلب للسريان الكاثوليك، نسخة مكتبة الأوقاف العامة في الموصل، نسخة خزانة ديوان الهند بلندن، نسخة مكتبة المتحف العراقي، نسخة القس سباط السرياني في حلب، نسخة سليمان الموصلي في حلب، نسخة المكتبة الشرقية للآباء اليسوعيين في بيروت، ونسخة نعمان الحلبي في الموصل. لمزيد التفصيل يمكن العودة إلى مقال "من أعلام السريان..."، ص ص 76 – 77.

[31] - نفسه، ص 21.

[32] - لاسو(أدمون)، من أعلام السريان....، م س، ص 75. وهي: "***صلوات السواعي النهارية والليلية في استعمال الشرقيين***"، مطبعة بروبكندا، روما 1692. و"***تاريخ اكتشاف امريكا وأخبارولاتها وشعوبها***"، وهو القسم الثاني من مخطوط الأب رباط اليسوعي، نشر بعضا من فقراته في مجلة المورد سنة 1906. "***بدرو الاقريطشي أحد فاتحي البيرو***"، نشر وتعليق الأب أنطون، مجلة المشرق عدد 1، بيروت 1906. "***الآثار النصرانية في أمريكا المتوسطة والجنوبية***"، مجلة المشرق عدد 2 ، بيروت 1906.

[33] - وهو ذات الأسلوب الذي نجده عند العديد من كتاب الرحلة العربية كابن حوقل والعبدري والإدريسي والحسن الوزان الفاسي. واللافت أن الكاتب لم يشر في أي مناسبة إلى أي جغرافي أو رحالة عربي.

[34] - كراتشكوفسكي(أغناطيوس يوليا نوفيتش)، **تاريخ الأدب الجغرافي العربي**، الطبعة الروسية 1957 والطبعة العربية 1961، من الصفحة 701 إلى 763 ورد **بالذهب والعاصفة** ، م س، ص ص 127 – 132.

[35] - الجرّاح(نوري)، **الذهب والعاصفة**، م س، ص 25.

[36] - نجد في نص الموصلي عديد الأمثلة التي تؤكد ما ذهبنا إليه من ضعف اللغة المستعملة وبساطة الأسلوب ومنها ما ورد في الصفحات التالية: 42 – 43- 46- 49 وما يليها إلى غاية نهاية المؤلف.

[37] - الجرّاح(نوري)، **الذهب والعاصفة**، م س، ص 49.

[38] - نفسه، ص 71.

[39] - نفسه، ص 53.

[40] - الجرّاح(نوري)، **الذهب والعاصفة**، م س، ص، ص 54.

[41] - الجرّاح(نوري)، **الذهب والعاصفة**، م س. ص 54.

[42] - نفسه، ص49.

[43] - نفسه، ص 57

[44] - نفسه، ص 51.

[45] - نفسه، ص 62.

[46] - نفسه، ص 56.

[47] - الجرّاح(نوري)، **الذهب والعاصفة**، م س. ص 56 .

[48] - نفسه ونفس الصفحة.

[49] - Zhiri (Oumelbenine)، *L'Afrique au miroir de l'Europe: Fortunes de Jean Léon l'Africain à la Renaissance*. Librairie Droz. Genève. 1991. P 22.

[50] - اسم المدينة في الخرائط كما بين نوري الجرّاح لوخا Loja

[51] - الجرّاح(نوري)، **الذهب والعاصفة**، م س، ص 64.

[52] - نفسه، ص 53.

[53] - الجرّاح(نوري)، **الذهب والعاصفة**، م س، ص 102.

[54] - التوزاني(خالد)، **الرحلة وفتنة العجيب: بين الكتابة والتلقي**، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، 2017، ص 13.

[55] - المقصود بالقارة الخطأ لعدة اعتبارات: فقد بلغها كريستوف كولمبس خطأ لأنه كان ينوي بلوغ شرق آسيا، وتسرب الخطأ إلى التسمية التي اطلقت على ذلك المجال باسم المستكشف أمريقو فسبوتشي وليس باسم المستكشف الأول كريستوف كولمبوس، وأيضا عدم اعتماد التسميات المحلية وإسقاط طبونيمات تعود إلى الأصول الأوروبية.

[56] - **ماركو بولو** ابن التاجر نيكولو بولو أحد سكان البندقية، وقد قام الاثنان برحلة طويلة عبر آسيا، بالاشتراك مع عمه مافيو بولو عام 1260م، وقد سلكوا طريق القوافل التجارية الشهيرة المعروفة باسم طريق الحرير. التقوا بقوبلاي خان إمبراطور الصين، فأحسن وفادة زائريه لأنه كان يحرص على تحسين العلاقات مع العالم الغربي. ترك ماركو بولو مؤلفا تحدث فيه عن أوضاع الصين تحت عنوان رحلات "ماركو بولو". متضمنا لخلاصة رحلتين في قارة آسيا.

[57] - تودروف (تزفيتان)، **فتح أمريكا مسألة الآخر**، ترجمة بشير السباعي، سينا للنشر، القاهرة، 1992، ص 14.

[58] - نفسه، م س، ص 15.

[59] - تودروف (تزفيتان)، **فتح أمريكا مسألة الآخر**، م س، ص 16.

[60] - تودروف (تزفيتان)، **فتح أمريكا مسألة الآخر**، م س، ص ، ص 17.

[61] - نفسه، ص 157.

[62] - الجرّاح(نوري)، **الذهب والعاصفة**، م س، ص 62.

[63] - تودروف(تزفيتان)، **فتح أمريكا مسألة الآخر**، م س، ص 216.

[64] - إلياد(مرسيا)، **المقدس والمدنس**، ترجمة عبد الهادي عباس، دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع، 1988، ص 28.

[65] - الجرّاح(نوري)، **الذهب والعاصفة**، م س، ص 80.

[66] - نفسه، ص 86.

[67] - المحواشي(منصف)، "الطقوس وجبروت الرموز، قراءة في الوظائف والدلالات ضمن مجتمع متحوّل"، **إنسانيات**، عدد 49، جويلية – سبتمبر 2010، ص ص 15 – 43، ص 21

[68] - قس كاثوليكي إسباني ينتمي إلى رهبانية الدومنيكان، ولد في أشبيلية سنة 1484 وتوفي سنة 1566 بمدريد. أُطلق عليه لقب رسول جزر الهند ولقب حامي الهنود بسبب دفاعه المستميت عن سكان أمريكا الأصليين. ناضل دون هوادة منذ وصوله إلى أمريكا عام 1502 ضد الممارسات العنيفة التي كان الغزاة الأسبان يقترفونها في حق أهل البلاد. ألف كتاب بعنوان "**قصة تدمير بلاد الهند**" وفيه يروي أدق التفاصيل عن مساؤى الغزو الإسباني للعالم الجديد. وكتاب آخر بعنوان "**التاريخ العام لبلاد الهند**".

[69] - تودروف(تزفيتان)، **فتح أمريكا مسألة الآخر**، م س، ص 173.

[70] - Chaunu(Pierre), *Les Amériques 16-17-18 siècles*. Armand Colin. Paris 1976.P134.

[71] - الشامي(صلاح الدين)، **الفكر الجغرافي: سيرة ومسيرة**، منشأة المعارف الإسكندرية ، مصر، 1999، ص 246.

[72] - نفسه، ص 247.

المصادروالمراجع

المصادرباللغة العربية

- الجرّاح(نوري)، الذهب والعاصفة: رحلة إلياس الموصلي إلى أمريكا، أول رحلة شرقية إلى العالم الجديد، 1668 – 1683. دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، 2001.

- رباط(أنطون)، رحلة أول شرقي إلى أمركة، المطبعة الكاثوليكية للاباء اليسوعيين، بيروت، 1906.

المراجع باللغة العربية

- التميمي، (عبد المالك خلف)، **التبشير في منطقة الخليج العربي دراسة في التاريخ الاجتماعي والسياسي**، 1982م.

- تودروف(تازفيتان)، **فتح أمريكا ومسألة الآخر**، ترجمة بشير السباعي، سينا للنشر، القاهرة، 1992.

- التوزاني (خالد)، **الرحلة وفتنة العجيب بين الكتابة والتلقي**، دار السويدي للنشر والتوزيع، ابو ظبي، 2017.

- رودريجت(أوخينيوش تشانج)، **ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية**، ترجمة عبد الحميد الغلاب وأحمد حشاد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة1997.

- الرويعي(حيدر جاسم)، "نشاطات الآباء الكرمليين في العراق حتى الحرب العالمية الاولى"، **مجلة القادسية للعلوم الإنسانية**، المجلد الثامن، العدد الأول 2005،

- الخامسة(علاوي)، "العجائبية في أدب الرحلات: رحلة ابن فضلان نموذجا"، رسالة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي، كلية اللغات والآداب، جامعة متنوري، قسنطينة، الجزائر، 2005.

- الشامي(صلاح الدين)، الفكر الجغرافي سيرة ومسيرة، منشأة المعارف الإسكندرية، 1999.

- لاسو(أدمون)، "من أعلام السريان، رحلة إيليا أبونا"، مجلة دراسات عدد 6760 سنة 2010 ص ص 72 – 82.

- مورينو(سيزار فرناندت)، **أدب أمريكا اللاتينية قضايا ومشكلات**، ترجمة أحمد حسان عبد الواحد، سلسلة عالم المعرفة، 1987.

- محلي(ساطع)، **أمريكا اللاتينية**، مطبعة خالد بن الوليد، دمشق 1974.

- مؤلف جماعي، **الغرب بعيون عربية**، مجلة العربي، الكويت 2005.

- مرسيا(إلياد)، **المقدس والمدنس**، ترجمة عبد الهادي عباس، دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1988.

- المحواشي(منصف)، "الطقوس وجبروت الرموز، قراءة في الوظائف والدلالات ضمن مجتمع متحوّل"، **إنسانيات**، عدد 49، جويلية – سبتمبر 2010، ص ص 15 – 43.

- النفاتي(عادل)، **المجتمع والجغر افية الثقافية لبلاد المغارب: حفريات في ادب الرحلة**، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2015.

- ، أطروحة دكتورا في التاريخ الحديث "أوروبا القرن التاسع عشر بعيون الرحّالة العرب" مقاربة في التاريخ الثقافي، اشراف د. لطفي عيسى، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية بتونس، جويلية 2018.

المراجع باللغة الفرنسية

- Anne-Elisabeth Steinmann, *Carmel Vivant*, Paris, St Paul, coll. « Terre et Louange », 4e trimestre 1963

- Braudel(F), *Grammaire des civilisations*, Flammarion, Paris, 1993.

- Chaunu(Pierre), *Les Amériques 16-17-18 siècles*. Armand Colin. Paris 1976.

- Gregory Wallerick, " La conquête et la conversion de l'Amérique espagnole vues par un protestant à la fin du X VI siècle." **Archives de sciences sociales des religions 2010/1 (n° 149)**, pages 33 à 53.

- Robert Serrou et Pierre Vals, *Le Carmel, Carmélites et Carmes*, Éditions Horay, 1957.

- Zhiri (Oumelbenine)، *L'Afrique au miroir de l'Europe: Fortunes de Jean Léon l'Africain à la Renaissance*. Librairie Droz. Genève. 1991.